

قراءة المعاصرين للمصطلح اللساني في الفكر اللغوي القديم بين الغلو والإهمال

د. لبصير نورالدين

جامعة حسية بن بوعلي الشلف

الملخص:

أصبحت اللسانيات اليوم تشغل صدارة العلوم الإنسانية لذلك حظيت وما تزال تحظى باهتمام المفكرين والباحثين، مما دفع بالثقافة العربية الحديثة في المشرق والمغرب أن تتجه نحو هذا الحقل المعرفي بقوة ولذلك نعتبر كل حديث عن أهمية ومكانة اللسانيات اليوم من قبيل تحصيل الحاصل؛ فقد غدت اللسانيات جسراً حقيقياً أمام باقي العلوم الإنسانية بجميع فروعها، وقد تولد عن هذا الاهتمام كم هائل من المصطلحات اللسانية في الكاتبات العربية التي تناولت بالدراسة جوانب متنوعة من التراث فكانت مباحث في علم الأصوات والصرف والنحو والبلاغة والعروض، وعلم الدلالة وغيرها من المباحث.... ومع مجيء عصر النهضة في بداية القرن العشرين و بزوغ الفكر اللساني الحديث برزت أسئلة حوار الآخر، فهل ثمة توافق بين الفكر اللساني العربي والفكر اللساني الحديث أم هل ثمة اختلاف؟ وما المسافة العلمية بينهما؟ هل هذا الاهتمام المتزايد باللسانيات انعكس بالإيجاب على قراءة التراث؟.

وهل من الموضوعية العلمية أن نقارن ونساوي بين التراث اللغوي القديم و مستجدات البحث اللساني اليوم؟ وهل تصح المقارنة في ضوء التفاوت الحاصل بين حضارتين مختلفتين؟ .

Résumé

La linguistique aujourd'hui occupent les premiers places en sciences humaines a ainsi reçus et continue de recevoir l'attention des intellectuels, chercheurs, ce qui incite fortement les culture arabe moderne vers ce champ de connaissance donc considérer tous les discours sur l'importance et le prestige de la linguistique aujourd'hui une fatalité Il est devenu un véritable pont vers le reste de la linguistique des humanités dans toutes ses branches. Et cet intérêt a généré une multitude de terminologie linguistique dans les écrivains arabes sur divers aspects du patrimoine.

Les détectives en phonétique et grammaire et rhétorique et présentations sémantique et autres détectives ...

Avec l'avènement de la Renaissance au début du XXe siècle et l'émergence de la pensée moderne Linguale surgit un autre dialogue, questions.Existe-t-il un consensus entre le pensée lingual arabe et le pensée linguale Moderne? ou y a-t-il une différence? Quelle est la distance scientifiques entre les deux ?Est cet intérêt croissant en linguistique se reflète positivement sur le Lire le patrimoine ?Est-ce objectivité scientifique de comparer et d'assimiler le patrimoine linguistique de l'ancienne et la nouvelle recherche linguale aujourd'hui?

Est-il valide compte tenu de la disparité entre les deux?

المقدمة:

الحمد لله نحمده حمداً كثيراً على ما علمنا من البيان وألهمنا من التبيان، وتّم لنا من الجود والفضل والإحسان، ونصلي ونسلم على سيد ولد عدنان المبعوث بأكمل الأديان، المنعوت في التوراة والإنجيل والفرقان، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان، صلاة دائمة ما كر الجديدان وعبد الرحمن. وبعد، ستنبص الدراسة في هذه الورقة البحثية قراءة المعاصرين للمصطلح اللساني في الفكر اللغوي القديم بين الغلو والإهمال.

لا شك أنّ الثقافة العربية الحديثة في المشرق والمغرب قد اتجهت نحو اللسانيات، فهل يعني هذا أنّ الفكر اللغوي العربي كان غائباً أم ظلّ حاضراً بقوة؟

إشكالية الدراسة:

لذلك تروم هذه الورقة البحثية للوقوف على جملة من التساؤلات يمكن صياغتها على النحو التالي: هل توفر لدى الدارسين لقضايا اللغة العربية قديماً الفهم الصحيح والمنهج الناضج الذي يجعلهم يقتربون في كثير من القضايا من المنهج اللساني الحديث؟ هل أصالة الفكر اللغوي العربي مرتبطة بمدى ملاءمته لما تقدمه النظريات الغربية الحديثة كما حاول كثير من المعاصرين إثبات ذلك؟ قراءة التراث عند المعاصرين هل مارست العقل الإسقاطي والحماسة المفرطة، بإرجاعهم كثيراً من المصطلحات الحديثة إلى أصول تراثية، فجعلوا من سيئويه وابن جني لسانيي العصر، ومن عبد القاهر الجرجاني بنيويه، وفي ذلك لعمري إجحاف وموطن الداء، ذلك إنّ حُبنا للتراث لا يبلغ حدّ وأده تحت شعار تحديثه، وإنّما يتحقّق بإعادة قراءته في إطار مشروطيته التاريخية، وإعمال العقل النقدي الواعي بشروط الاستنبات وسياقات التلقي. هل تحولت مشكلة قراءة التراث اللغوي عند كثير من الدارسين المعاصرين إلى فليولوجين، أو شارحين ومفسرين؟ وهل تحولت قراءة التراث إلى مجرد عملية اختلاط القديم بالحديث عبر ألفاظ لا يربط بينها إلاّ إرادة الشارح؟ لماذا لم بأبه دارسو التراث بالمسارات والملاسات والأبعاد المرتبطة بالإطار

الحضاري للأمة؟ ولعلّ من الأخطاء التي وقعت فيها هذه الدراسات عزلها التاريخ في قراءة التراث.

هل اهتمام الباحثين واشتغالهم باللسانيات المعاصرة اليوم هو انسلاخٌ من تراثنا الأصل، وإتباعٌ لأهل الحداثة من غربيين ومعاصرين؟ هل التراث مملوكاً خاضعاً للمُحاكَمَةِ؟ على حين يرى أسلافنا أنّ التراث هو مالُكُهم والقاضي في حياتهم لا المتهم! إنّ الجهودَ النظرية المبذولة من طرف الباحثين والتي تخاصم وتنصب العداء للأمة من غير مبررات ومسوغات مشروعة، وتمارس الإقصاء لا شكّ أنّها في الأخير تجري وراء السراب وتجنّي الوهم، ولا يفهم من هذا أنّنا ندعو إلى الانحباس والانغلاق على الذات ورفض الآخر، لكن على الأقل هذه المنجزات النظرية والمعرفية بحاجة إلى إعادة النظر في دراستها، بل هي أوبةٌ واعيةٌ للذات والموضوع، تراعي رسالتها وتراعي المستجدات، تملكُ التراث ولا يملكها، وتمسكُ بالحاضر ولا يمسكها، وتستشرف المستقبل دون أن يستقر فيها فيقطعها عن ماضيها وحاضرها أو يغرقها في بحاره، ويسجنها في أساره.

هذه الأسئلة والإشكالات تلخص جوانب من عوائق تحديث صياغة المصطلح في الثقافة العربية؛ وهي الإشكالات التي ظلت تنتظر الإجابة من المثقف العربي في علاقة الفكر اللغوي القديم باللسانيات.

ومن هنا جاءت هذه المداخلة وهمها وشغلها الشاغل الإجابة عمّا تحمله من إشكالات فكرية وقضايا معرفية تمسُّ موضوعَ بحثنا.

هل وفق هؤلاء وفرقوا في دراستهم للتراث اللغوي بين القراءة الحضارية والقراءة العلمية؟ لأنّ ذلك يجعلنا نفرّق بين طبيعة العمل اللساني باعتباره ممارسة، والبحث اللغوي بصفته إسهاماً حضارياً.

أهمية هذه الدراسة: إنّ الإسهامات اللغوية لأسلافنا المفكرين في التراث العربي، لم ينل البحث فيها ما يستحقه من عناية واهتمام، فما زالت مجالات كثيرة في التراث العربي اللغوي بكرّاً تحتاج إلى نظرة لغوية علمية واعية وإن وجدت هناك أبحاث

لغوية ذات قيمة إلا أنها محمولة على الرصيد المعرفي للتراث العربي، وتجتز عطاءً معرفياً لأسلافنا الباحثين، ولم يخرج جهدها إذ ذاك من عملية نقل أو تصنيف دون أن يكون لرُوح العصر الحديث لمسات على هذا التراث ليعث فيه التجديد. لذلك كانت مشكلة قراءة التراث اللغوي الذي أقدم عليه الباحثون المعاصرون يُوحى بأن مهمة النظريات هو عملية تأويل التراث لا قراءة اللغة، ذلك لأنّ المثاقفة بين العرب والغرب ذات طابع طوعي، أمّا وقد أضحت قسرية، تختزل الفوارق الثقافية، وتُنمط الهويات الثقافية، ويمكن بيان أهمية هذه الدراسة أنّ الثقافة العربية بأمس الحاجة إلى ابتعاث المخزون التراثي الأصيل، والذي بات أكثر من ضرورة أمام ما يشهده العالم من كشوفات معرفية تداخلت فيها المجالات الفكرية وعبرت من طريقها المعرفة التخصصات حدود العلمية، وفي ضوء هذا المعطى تحاول هذه الدراسة؛ لتجيب عن جملة من الإشكالات المنهجية المتعلقة بمسألة المصطلح اللساني في الفكر اللغوي القديم مقارنة بما وصلت إليه النظريّة الغربية، فتمثّل نموذج الآخر، يفترض بالضرورة تمثّل تحولاته من المعطى اللساني إلى إنتاج المفاهيم وسبك الاصطلاحات.

هل قراءة المعاصرين للمصطلح اللساني في الفكر اللغوي القديم فتحت مجالاً جديداً واسعاً في آفاق اللسانيات، وأسهمت في مد جسراً بين الدرس اللغوي الحديث والتراث أم أنّها زادت في اتساع رقعة الغلو في الإسقاطات؟ قد تكون قضية التراث من القضايا التي أصبحت مثار تحفظٍ لدى البعض، نظراً لما عرفته من نقاشاتٍ وجدالاتٍ ظلت تدور في الغالب على هامش القضية، دون المساس بجوهرها.

أهداف هذه الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى:

- تعميق الوعي بالتراث الأدبي واللغوي في علاقته بحاضر المعرفة الأدبية واللغوية ومستقبلها.
- إنشاء نظرية تكاملية للتراث يتمُّ من خلالها تقديم منهج جديد في تقويم التراث.

- قراءة المعرفة الحديثة والمعاصرة في حقل الأدب واللغة ، من خلال علاقتها بالتراث .

- تهدف هذه الورقة البحثية للفت الانتباه لضرورة الاهتمام بالتراث اللغوي لأسلافنا.

- مقابلة الهدم بالبناء في قراءة التراث.

- الابتعاد عن تجاهل القطيعة و الانفصال بين الماضي و الحاضر و المستقبل.

- بيان إسهامات المعاصرين في ربط الحضارات والأمم بعضها ببعض كما أسهم أسلافنا بمصطلحاتهم في استيعاب العلوم والفنون قديماً.

- تسعى إلى اختبار المصطلحات التي قدمها المفكرون والباحثون في قراءتهم للتراث.

- محاولة الكشف عن مدى ملائمة هذه المصطلحات و مدى إسهامها في إغناء الدراسات العربية .

- بناء لسانيات تراثية عربية أصيلة تفتح منافذ لإدراجه في البحث اللساني المعاصر.

أهمية المصطلح: للمصطلحات أهمية كبرى في ضبط دلالات الألفاظ وتحديداتها وفرزها، ولذلك اعتنى بها العلماء قديماً وحديثاً لقد قيل منذ القديم إنَّ المصطلحات مفاتيحُ العلوم، ولعمري إنَّها مفاتيحُ كلِّ شيءٍ، حيث أنَّها يمكن أن تكونَ مفاتيحَ الخير، كما يمكن أن تكونَ مفاتيحَ الشر ويمكن أن تكونَ مفاتيحَ البناء، كما يمكن أن تكونَ مفاتيحَ الهدم، يقول طه عبد الرحمن: "إنَّ قوة الاصطلاح غدت لا تقل عن قوة السلاح".¹

وتعتبر المصطلحات ضرورة علمية لذلك تسعى إلى ضَبْطِها وتحديدِها! لأهمِّ والثقافاتُ المختلفةُ، فلا يمكن بحالٍ من الأحوال أن تتقدم أمةٌ أو تزدهر حضارتها دون العناية التامة بأمر المصطلحات، لقد أدرك اللسانيون العرب المحدثون أهمية هذا العلم وضرورة الإمام بأسبابه إماماً واسعاً والإحاطة بنتائجه إحاطةً شاملةً

بُغيةَ تقويم العمل اللغوي العربي القديم.² وفي السياق ذاته يقدم عبد الرحمن الحاج صالح وصفاً للحالة اللسانية العربية فيقول: "يتصف البحث العلمي في اللغة العربية في زماننا هذا بصفات جدُّ سلبية، بالإضافة إلى ما يعرفه العصر من تكنولوجيا حديثة تطبق على البحوث اللغوية بنجاح تام في البلدان الراقية، ويعرف كل واحدٍ البطء الذي يسير به وضع المصطلحات وإقرارها وحرفية هذا العمل وفرديته ومشكل ذيوع هذه المصطلحات في الاستعمال".³ فكان المشكل الاصطلاحي عقبة أعقت قراءة المعاصرين في قراءتهم واستفادتهم وحتى نقدهم للتراث اللغوي العربي القديم. فيمكن اعتبار المسألة الاصطلاحية في اللسانيات العربية قديماً وحديثاً بوصفها العقبة التي تواجه مشروعية إعادة الاعتبار للتراث اللغوي التي تزخر به هذه الأمة.

إشكالية مقارنة المعاصرين للتراث: هل توفر لدى الدارسين لقضايا اللغة العربية قديماً الفهم الصحيح والمنهج الناضج الذي يجعلهم يقتربون في كثير من القضايا من المنهج اللساني الحديث؟ يعترف عبد الملك مرتاض بأهمية التراث للانطلاق نحو الحداثة؛ إذ يقول: "ومثلُ هذا النصّ النقديّ العجيب هو الذي كان يحملنا، دوماً، على الانطلاق من التراث نحو الحداثة، أو من الحداثة ولكن بالاستناد إلى التراث؛ وذلك على أساس أنّ التراث النقديّ العربيّ، غنيّ بالنظريّات والآراء النقدية... والذين يكابرون فيتحاملون على هذا التراث لا يعدّون أن يكونوا واحداً من اثنين: إمّا لأنّهم يجهلون هذا التراث، وإمّا لأنهم، لبعض ما في قلوبهم من مَرَضٍ، يمجّثونه فيقعون في المكابرة. ولا حجة لهم في الحالين، ولا سداد لرأيهم في الطورين".⁴

ويرى الدكتور فهمي جدعان أن هؤلاء يستلهمون التراث الماضي ما يبررون به الواقع الحاضر، ويرى أنّ عملية الاستلham "هذه ليست إلا عملية تسويق لقيم الحاضر، بإسقاط غطاء تراثي عليها، وأنّ الذي يحدث عملياً أنّ الحاضر هو الذي يُفرض قيمه، ويلزم بها".⁵

ويقول الدكتور جدعان أيضاً: إنَّ هذه "الأدلجة" لم تكن تعني في نهاية التحليل إلاَّ شيئاً واحداً هو: أنَّ الحاضرَ عاجزٌ - بإمكاناته وقدراته الكامنة والصريحة - عن إحداث التغيير المنشود. وأنَّ التراث الذي يشد الناس إليه، هو الذي يملك القوة السحرية على التغيير، وذلك - بطبيعة الحال - بعد توجيه قراءته الوجهة التي تخدم الأهداف المنصوبة.⁶

هل كانوا مدركين لأهمية المنهج؟ شغلت مسألة المنهج مساحة كبيرة من اهتمام الباحثين، لما للمستجدات المنهجية في حقلي الدراسات اللغوية والأدبية من تأثير على طرائق المعالجة النظرية والتطبيقية في حقلي اللغة والأدب العربي.

وإذا كان دور التأريخ للمصطلح العلمي ينحصر في تحديد نشأة هذا المصطلح، وماهيته الأولى تحديداً دقيقاً أو يحيل على الظاهرة اللغوية التي يمكن أن يشرف عليها المصطلح العلمي الحديث، فإنَّ ذلك يعد فضلاً علمياً في غاية الأهمية خاصة إذا صحب ذلك وعيُّ الباحث وتمكنه من أدوات بحثه بكيفية تعينه على الغوص في التراث المعرفي بمنهجية دقيقة ووسائل ملائمة، ممَّا يتيح فرصة التوصل إلى نتائج علمية مؤكدة قد تلقي أضواء على جوانب هامة من التراث العلمي الزاخر وبالتالي تفتح مجالات واسعة لإعادة اكتشاف هذا التراث اكتشافاً علمياً واعياً، بإدراجه ضمن حركية العلوم الحديثة.⁷

لذلك كانت الحادثة بهذا الاعتبار تعني أولاً وقبل كلِّ شيء حادثة المنهج وحادثة الرؤية، والهدف: تحرير تصورنا لـ"التراث" من البطانة الأيديولوجية والوجدانية التي تضفي عليه، داخل وعينا، طابع العام والمطلق وتنزع عنه طابع النسبية والتاريخية.⁸ من أولئك الدكتور أحمد المتوكل كما يظهر بصريح العبارة: "وضعنا لبنة أولى لمنهجية تكمن من إعادة قراءة الفكر اللغوي العربي القديم... توصلنا في هذه المحاولة إلى أنَّ النظرية الثاوية خلف مختلف العلوم اللغوية (النحو، اللغة، البلاغة، فقه اللغة) نظرية تداولية، وأنَّها بالتالي قابلة للتجاوز (بمعنى القرض والاقتراض) مع النظريات التداولية الحديثة بما فيها نظرية النحو الوظيفي".⁹

عوائق الدراسات المعاصرة في قراءتها للتراث:

- إنَّ المشكلة التي وقع فيها كثيرٌ من المعاصرين في قراءتهم للتراث أنَّهم لم يستطيعوا تحديد علاقة البحث بالزمن هل دراستهم للتراث يكون انطلاقةً من الماضي أو تحليلاً للحاضر أو استشرافاً للمستقبل مع ربط هذه العلاقة بأبعادها الحضارية والثقافية والفكرية والعلمية، وحين لم ينتبهوا لهذه الإشكالية اصطدمت أبحاثهم بسؤال الزمن؛ ولهذا عندما راموا لربط هذه المصطلحات اللسانية في الثقافة العربية بنظيراتها الغربية جاءت أبحاثهم متباينة في ربط البحث اللساني بالزمن، كما تباينوا في ربط البحث اللساني بأبعاده الثقافية والفكرية والعلمية، فبدلاً أن يقربوا هذه المفاهيم للمتلقي العربي تُعمقُ فهمه تحولت ممارستهم إلى إشكالية بدل أن تكون وسيلةً لحلَّ الإشكاليات.

- إشكال المنهج فغالبية اللسانيين بقوا سجناء المناهج القديمة معتقدين أنَّ التراث النحوي قادرٌ على حلِّ جميع الإشكالات العالقة باللغة العربية وهذا الاعتقاد لا يخلو من المبالغة ويردُّ الفاسي على الذين يعتقدون ذلك بقوله: "ينبغي أن نتوقع غياب المعطيات ما لأكثر دلالة بالنسبة إلى افتراضاتنا أو تشويهها أو أفكار بعض النحاة لها أو اختلافها باختلاف مراحل تاريخ اللغة.

- كما أنَّه يتعين علينا أن ننبذ الحساسية ((اللسانية)) علمٌ بعيدٌ عن تراثنا، وأنَّه تنفس في أجواء غربية. فاللسانيات وإن كانت نتاجاً غير عربي، فإنَّه لا يستبعد أن تكون قد هبت عليها رياح من نتاج الأمم الأخرى فتأثرت به.

- كثيرٌ من الدارسين اعتمدوا على العاطفية والمغالطة في رفضهم للمصطلحات اللسانية، إذ يفند علي أو مليل هذا الأمر بقوله: "كثيراً ما تطرح مسألة التراث طرْحاً يقوم على العاطفية والمغالطة، وكأنَّ المسألة تؤول إلى هذا السؤال: هل تريدون أيُّها النَّاس أن تكونوا بغير جذور، لا هوية لكم، ضائعين في الغرب الذي لن يتوانى، بعد أن نهب خيراتكم واستتبعكم اقتصادياً وسياسياً، عن أن يمحو كلَّ شخصية لكم ثقافية وتاريخية؟ طبعاً إذا طُرِح السؤال هكذا فلن يكون الجواب سوى كلا! وحتى

الذين ليسوا تراثيين على نحو مطلق سيجيبون نفس الجواب، إذ من هو هذا الذي يرغب في أن يفقد هويته عن سبق إصرار؟ " 10

- ولعل من الأسباب التي دفعت بكثير من الكتابات العربية سواء كانت لسانية أو غير لسانية أن تعتقد بأن اللسانيات علمٌ غير نافع وأنه لا فائدة مرجوة منه علاقتنا مع الغرب تشكّل مأزقاً كبيراً للفكر العربي

والإسلامي، بالنظر إلى أهدافه الاستعمارية التي يتوحد معها ويخدم غاياتها؛ لأنّ في نشأة الدراسة اللغوية في أوروبا ما يدل على أنّ للاستعمار، وحملات التبشير المسيحية دوراً رئيساً ساعد على ظهورها وانتشارها،

وتطورها، للوصول إلى شعوب العالم التي يقصدونها. ويرجون من ورائها السيطرة والنفوذ. 11

- وقد انخدعوا بمقولتين: الاستجابة للموضوعية العلمية والانخراط في الحداثة العالمية. وما استجابوا وما انخرطوا؛ وإنما أصيبوا بسوء التفلسف فأمحوا في غيرهم بكل كبرياء. مأساة الأمة أن كثيرا من مفكرها يتشكّلون مع الأحوال، ويُغيرون الديكورات في كلّ آن، ويركبون أمواج التقاليع الآتية من الغرب.

- ظلّت توجهاتهم الإصلاحية تتخذ من الغرب قبلة لها، ومن عقلانية الغرب منهجاً لها في التفكير، ومنطلقاً لها في الاجتهاد، وما فتئت منهجياتهم تربط كلّ تقدم وتحضر بانتهاج تلك العقلانية الغربية والاحتكام إليها.

- والواقع أنّ كثيراً من المفكرين العرب تعاملوا مع الفكر الغربي باعتباره النموذج للفكر العلمي، وسعوا بكلّ الوسائل إلى إقناع بني جلدتهم بهذه الفكرة. وظلّوا يضعون الهوامش تلو الهوامش على مجموعة مقالات شكلت لديهم مرجعية الحداثة، من تلك المقالات ما تبارى المترجمون في ترجمته فترجم أكثر من مرة.

- الكثير من اللسانيين العرب يعتقد أن المناهج اللسانية الحديثة وضعت لدراسة اللغات الهند أوروبية وكفى، وبالتالي فهي غريبة عن اللغة العربية التي هي من اللغات السامية.

- ولعل من الأسباب التي أعقت المعاصرين في بلورة مصطلح تراثي يجمع بين الأصالة واللسانيات المهابة والتقديس اللذين يياشر العربي -ولا سيما اللغوي- بهما لغته والتراث لذلك تأسس حيال علوم العربية من الاعتراف ما لا يعادله إلا تقديس العربية ذاتها".^{1 2}

في هذا السياق يقول المسدي: "فمن هذا الواقع الحضاري المعرفي نشأت لدى العربي رؤية من القداسة تجاه لغته النوعية وتجاه علمنة اللغة ذاتها كما نشأ سياج من المحظورات ترسخت بموجبه عقدة الاستغناء".^{1 3}

- غلب عليهم التوسل بأدوات البحث التي اصطنعوها من مفاهيم الغربيين ومناهجهم ونظرياتهم؛ فقلدوها وما ملكوها ناصية تقنياتها، ولا تفننوا في استعمالها.^{1 4}

- غموض المصطلحات التي كانوا يستعملونها في مقاربتهم للتراث، فكثيراً من المصطلحات التراثية لا تتوافق مع المصطلح الأجنبي كاستعمال إبراهيم أنيس على سبيل المثال مصطلحات الساكن/consones المتحرك.vowels - فجل اللسانيين العرب يكتفون بما جاء به القدماء من أمثلة ومعطيات دون البحث عن أمثلة ومعطيات جديدة ملائمة للدرس اللساني الحديث على اعتبار أن اللغة في تطور "دياكروني" بحسب سوسير ومنه فاللغة التي وصفها سيبويه ليست هي اللغة التي وصفها المعاصرون.

- كثير من اللسانيين يكتبون تصورات معينة حول اللغة العربية باللغات الأجنبية تكون في مستوى عال من

الدقة والموضوعية تدين كلها الوضع اللغوي العربي أو وضع العربية لكنهم يدونون غيرها حينما يتعلق الأمر بالكتابة باللغة العربية مداهنة للقوى المحافظة و تفادياً للاصطدام.

قراءة المعاصرين للمصطلح اللساني بين دعاة الأصالة وأنصار المعاصرة:الباحث عن المعرفة يجد نفسه بين دافعين يتجاذبانه الأول: يشدّه إلى القديم المؤلف، والثاني: يدفعه للتطلّع إلى ريادة المجهول وشق طريق التأمل والبحث في الغد المأمول، فهو دائماً بين ضغط الحفاظ على مآلوفاته وعاداته وأعرافه، فيما أطلق عليه اسم التراث أو الأصالة، وبين جواذب التطلّع إلى التطور والتقدم، فيما أطلق عليه اسم الحداثة أو المعاصرة . وتبقى قضية الأصالة والموروث الثقافي محل نقاش وجدال من خلال التعمق في مفهوم التراث وعلاقته بالتجديد، فيعتبر هذا الأخير محاكاة للتراث في سياق معاصر حيث أنّ الأصالة هي أساس المعاصرة والتراث يمثل وسيلة للوصول إلى التحديث وتطويعه مع متطلبات الواقع، فلا يمكن للتراث أن يكون منفصلاً عن الواقع الحي بل هو عنصر متحوّل ومتغير فهو ليس بمثابة عقائد نظرية ثابتة وحقائق دائمة فلعلّ هذا الطرح في علاقة الأصالة بالحداثة يمثل قراءة في محاولة اختيار ما يمكن له ملائمة حاجات العصر.¹⁵

أما فئة أنصار المعاصرة فإنها أقحمت المعطيات اللسانية الغربية في دراستها للظواهر اللغوية العربية، دون أدنى اعتبار لأصالة وخصوصيات الفكر واللسان العربيين وهذا الخلل المنهجي أحدث قطيعة معرفية بين التراث العربي والاحتياجات العلمية اللغوية للإنسان المعاصر، وكان وراء التخلف في مجال البحث العلمي اللغوي المعاصر عند الدارسين العرب فإذا نظرنا إلى المعوّل عليه عند دعاة الأصالة، فإذضه لا يعدو أن يكون جرداً سلبياً رتيباً دون أدنى جهد لخرق تلك الرتابة والولوج داخل التراث المعرفي لبحث بنيته الداخلية لكي يسهم في تحقيق النظرية اللسانية العامة.⁶ وفي غمرة الصراع بين دعاة الأصالة وأنصار المعاصرة يضيع البحث اللغوي، وتكثر المصطلحات وتتجاذب المفاهيم .

حضور المصطلح اللساني في التراث: ويكاد يجمع من يبحث في لسانيات النص أن كثيراً من الأفكار التي بُنيتْها لسانيات النص، والنظريات النصية بزغت من بُحوث في البلاغة القديمة.^{7 1} الاتساق كآلية ومفهوم وفق لسانيات النص اعتبره كثير من الباحثين هو النظم الذي تحدث عنه الجرجاني.

والمستقرئ لنصوص التراث يتلمس فيها مصطلحات لمفاهيم لسانيات النص الحذف، التقديم والتأخير، الوصل والفصل، الزيادة، الحذف والسبك... كما نجد اليوم عند هاليداي في حديثه عن اتساق النص، وتون فان ديك في استحضاره للسياق contexte وروبرت ديوجراندي وولفغانغ دريسلر. والحق أن من يقرأ في التراث اللغوي العربي بتجرد يجد أن كثيراً من المصطلحات اللسانية الحديثة قد خاض فيها الدارسون العرب قديماً وتوصلوا إلى حقائق مهمة، ومن المصطلحات التي عرضها الدكتور عبد السلام المسدي مفهوم المقطع في التراث اللساني العربي من خلال إشارات واضحة تدل على إلمام جيد بهذا المفهوم، وإن لم يخصص له حيزاً مستقلاً في ذلك التراث، من ذلك أن الفارابي وابن سينا والقاضي عبد الجبار الأسد آبادي وابن رشد عرفوا أن المقطع يتألف من الحرف المصوت (الصائت) وغير المصوت (الصامت) كما أن بعض هؤلاء كابن سينا ألم بأنواع المقطع الرئيسة، والتي تعادل عندنا الآن المقطع الأول (ص ح) والمقطع الثاني (ص ح ح) والمقطع الثالث (ص ح ح ص) أما ابن رشد فإنه يعبر تعبيراً صريحاً عن مفهوم المقطع مستعملاً مصطلح (المقطع) بمعنى اجتماع صامت وصائت، كما يستعمل مصطلح (السلابي).

ولعل من المساهمين في حضور المصطلح في الدرس اللغوي الدكتور أحمد المتوكل الذي يعدُّ البعض رائد اللسانيات العربية، وقد أفصح عن رأيه في مقارنة مهمة العام 1982 يقول المتوكل عن هذه الدراسة: "سعينا فيها إلى إرساء أسس منهجية تمكن من فهم الفكر اللغوي العربي القديم ومن مقارنته بما أفرزته - وتفريزه - الدراسات اللسانية الحديثة من نظريات ومن استثماره عند الحاجة في وصف اللغة

العربية ونشير - ونحن منطلقون - إلى أن جهود هذه الزمرة من اللسانيين لا يذكرها ذاكر من أولئك الباحثين غير اللسانيين الذين اختصوا في الحديث عن مناهج التعامل مع التراث. ولا يسعنا أمام هذا الصمت إلا أن نقف موقف المتسائل المستغرب؛ إذ من المعلوم أن أبسط المنهجية المبادئ يحتم على المشتغل بالمناهج أن ينطلق - متبيناً أو ناقداً أو رافضاً - من المحاولات التي قيم بها في المجال الذي يبحث فيه.

لقد حاول الدكتور نعمان بوقرة تتبع المباحث اللسانية عند ابن حزم ووصل إلى جملة من النتائج منها: أنَّ ابن حزم اعتنى بالظاهرة اللسانية لكونها المجال الحقيقي لحركية الاجتهاد الأصولي والفقهني واستنباط الأحكام، غير أنَّ هذه الغائية لم تمنعه من أن يخوض في مسائل لسانية مهمة، بعيداً عن الهدف الديني بوصفها موضوعات مستقلة ترتد إلى ما يمكن عدّه من صميم القضايا اللسانية الحديثة، كالبحث في مفهوم اللغة ووظيفتها التواصلية، وكذا العناية بوصف مستويات البنية اللسانية في نظامها الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي، مستمداً أمثله من اللغة العربية ومن اللغات التي يعرفها: اللاتينية والعبرية. لقد كان لابن حزم تصور مكتمل للدليل اللساني، من حيث طبيعته وخصائصه وقد ركز على سمة الخطية فيه من خلال ربطه للحدث اللساني بمقولاتي الزمان والمكان، كما وسع من دائرة العلامة لتشمل أنواعاً يقع بها التواصل الإنساني مع الآخر، فمنها ما هو شمي، ومنها ما هو ذوقي، ومنها ما هو لمسي، ومنها ما هو بصري.¹⁸

ويقول الدكتور مهدي المخزومي: "ومن الطريف حقاً أن ترى مصطلحات علم الأصوات الحديث تتفق أكثرها مع المصطلحات التي وضعها الخليل، بل كان كثير منها يشير إلى أنَّها مصطلحات الخليل ترجمت تكاد تكون حرفية من ذلك مصطلحات المجهور ترجم إلى الانكليزية voiced والمهموس يقابله unvoiced والشديد يقابله stop أو plosive ومصطلح الرخو إلى fricative أو continuant".¹⁹

لقد تبنى عبد الرحمان الحاج صالح كثير من المصطلحات التراثية مفضلاً عليها المصطلحات الحداثيّة، من ذلك نراه يفضل مصطلح علم اللسان²⁰ لارتباطه بالتراث على غيره من المصطلحات التي انتشرت في الكتابات العربية الألسنية الألسنيات، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللسانيات، علم اللغة، اللغويات، الدراسات اللغوية. ويبرر هذا بالترجمة اللاتينية لكتاب إحصاء العلوم التي قام بها GIRACDO Cramonorsi²¹. يقول مندور: "منهج عبد القاهر يستند إلى نظرية في اللغة، أرى فيها ويرى معي كل من يعن النظر، أنها تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء، ونقطة البدء نجدّها في آخر دلائل الإعجاز" حيث يقرر المؤلف ما يقرر علماء اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات...²²، ثم يشير مندور إلى أن الجرجاني يلحق بأكبر مدرسة حديثة في تحليل اللغة، أعني مدرسة العالم السويسري فرديناند دي سوسير، رأس علم اللسان الحديث،.. ثم اللغوي الفرنسي الذائع الصيت انتوان ميه.

حمل الفرع على الأصل، يقول المسدي: "وكل من يكتب في هذا الاتجاه اللساني عليه أن يوضع كلامه

بالنسبة لما يقوله النحوي القديم، وأن يسجل موقعه من التراث والدور الذي يمكن أن يعود إليه في البحث اللساني المعاصر".²³

وقد انطلق معظم الذين تبنا المنهج البنيوي فيما بعد، من النقطة نفسها التي انطلق فيها مندور، وهي وجود مثل هذا المفهوم للغة والأدب في تراثنا العربي القديم، ولا سيما في نظرية الجرجاني للنظم وضرورة التخلي في دراسة الأدب عن العلوم الإنسانية والاقتصار على علوم اللغة والأدب فيها.

كما تبنى الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح مصطلح البنية المنسوب إلى البنية مفضلاً عليه مصطلح شاع في الكتابات العربية بنيوية. ويبدو أن الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح من المعجبين بالتراث اللغوي العربي خاصة في القرون الأربعة الأولى. مما جعله يعجب بالخليل ويتبنى المدرسة الخليلية.

وهكذا، تتفق جميع هذه الخطابات حول العودة إلى التراث، لأن الذين يتخلون عنه ويلغونه هم واهمون؛

ولأن إلغاءه لا يمكن أن يتم إلا بتحقيقه .

لذلك، كانت العودة إلى التراث أمراً ضرورياً حتمته الظروف التاريخية والحضارية على الإنسان العربي، من جهة، كما كانت ضرورة تستوجبها كلّ عملية تنوحي خلق حداثة معرفية في شتى المجالات سواء تعلق الأمر بالنقد أو الفلسفة أو غيرهما، حيث تساعد الدارس على معرفة الإطار الذي يحكم خلفيته الثقافية والمرجعية.

التراث اللغوي القديم بين الرفض والقبول في دراسات المعاصرين:

أ- الرافضين للتراث: من الرافضين للتراث محمد المبارك؛ حيث يقول: "إن العقلية التي تريد حصر مفهومنا لتراثنا لا تتجاوز سياج التراث نفسه، إنها عقلية تريد من حيث لا تدري سجننا في واقعنا المزري، هذا مهما ادعت لنفسها العلمية و الموضوعية، فهي تتركب فينا عقدة النقص بالنسبة للسلف الصالح الذي ترفعه إلى مستوى الكمال، ونحن مهما بلغناه من التمدن والتقدم لن نصل درجة ذلك السلف الوهمي الصالح...."²⁴

ويضيف قائلاً: "...لا يمكن الحديث عن المكننة والإلكترونيك وثورة الاتصالات... إلخ، والبقاء اجتماعياً وثقافياً على ما كان عليه السلف الصالح. ألم يكن لغيرنا من الشعوب التي تعرف الرقي سلفاً صالحاً؟ ألم يكن سر تقدمهم هو بالضبط التخلص من ميثولوجيا السلف الصالح؟ وهل نحن لسنا أهلاً للصالح؟ السلف صالح ونحن صالحون وستكون الأجيال القادمة أصلح منا...."²⁵

كما رفضت بعض الكتابات المعاصرة اللسانيات بحجة أنها منهج غربي خاص بلغات أخرى؛ ولذلك من العسر والتعذر أن يطبق هذا المنهج الذي وضع مناسباً للغة -أو لغات ذوات سمات خاصة- على لغة امتلكت في ذواتها قوة خلودها وبقائها راسخة على خصائصها. 26

وذهب العبيدي إلى أبعد من هذا حيث يرى أن أي تطبيق من هذا الدرس اللساني الحديث يعد انصرافاً عن البحث اللغوي العربي الأصيل، الذي يقول: "ولعلني لا أبالغ إذا قلت: إن ثمة غلوا محموماً ينهد به نفر من المغرمين بالبحث الألسني الأوروبي في هذا القرن، يهدف إلى الانصراف عن البحث العربي الأصيل إلى الألسنية الحديثة، ولا سيما المعنيين بالعربية، ممن تعلموا شيئاً عند الغربيين، أو اطلعوا على ما جاءت به الترجمات من كتب البحث اللساني في فرنسا وغيرها من أقطار أوربا بعد سويسير وهو بحث مقحم على العربية، بعيد عن أنفاسها وخصائصها، وإدخال أهلها في ميدان غير مناسب لها، ولا متلائم مع طبيعتها، في الوقت الذي كانت الدراسات العربية الأصيلة قد آتت أكلها، وخدمت الحرف العربي خدمة لا مثيل لها، وأبرزت خصائص هذه اللغة إبرازاً متكاملًا، لا يحتاج معه أبنائها إلى مزيد من المداخلات والتعقيدات التي يتسم بها البحث الأوروبي الحديث". 27

وبالنسبة إلى إمكانية التوفيق بين منهج العرب واللسانيات الحديثة يصرح كمال بشر بصعوبة ذلك لعدم تكافؤ الطرفين ثقافياً، وعلمياً، ويرى في التوفيق بين المنحيين خليطاً من التفكير ومزيجاً من طرائق البحث أوقعتهم في أخطاء منهجية لا يقرها البحث الحديث.

من خلال هذه التصورات حول مصطلح التراث عند أهل الحداثة والعصرنة، يتضح أنَّ مفهوم "الحداثة" يقصد به عند دعاة ومروجيه: اتجاه أو منزع ينتهي إلى قطيعةٍ شاملةٍ مع التراث، تنطوي على تحقير هذا التراث و التهوين من شأنه و قطع صلة الأمة بماضيها لتبدأ من الصفر وقد سلب منها كل مقومات هويتها، وتصبح مستعدة لأن تصاغ كما يريد الآخرون. أي باختصار تعني الحداثة: نقد المقدس وهدمه، ويتمثل هذا المقدس في الوحي والعقيدة واللغة والثقافة والفكر... إننا نعتقد أننا هؤلاء حينما انقطعوا عن التراث جملةً؛ كان لجوؤهم إلى تراث الثقافة الغربية الحديثة: "مقلدين لمسالكة، ومتشبهين بأصحابه". وماذا فعل هؤلاء الحداثيون بتراثهم حين ذهبوا في قراءته كل مذهب،

ووضعوا له مشاريع قراءات؟ لكننا نقول كما قال الأستاذ طه عبد الرحمان أنهم أولاً: قطعوا أوصاله. ثانياً: خطأوا أصحابه. ثالثاً: اجتزأوه. رابعاً: اقترضوا من غيرهم طرائقهم المستعملة في النقد. خامساً: ظلت كتاباتهم دعوة إلى تقليد الفكر الغربي وتقليد أهله.²⁸

ب- المتحمسين للتراث: وهناك من يتعصب للتراث العربي ويرى أن كل شيء فيه، ويُعادي كل وافد من الغرب ولذلك يطعن في كل المحاولات الجادة لإعادة قراءة التراث اللغوي وفق مناهج معاصرة ومن هؤلاء محمد حسين، ولذلك نراه يربط بين الصوتيات، أحد فروع البحث اللساني، وبين الاستشراق وأهدافه الاستعمارية بقوله: "اقتربت الدراسات اللغوية الحديثة على الطريقة الغربية - والصوتية منها بنوع خاص - بالدعوة إلى العناية باللهجات العامية وآدابها، أو ما يسمونه 'الأدب الشعبي'، والدعوة بشكلها هذا جديدة على الدراسات العربية، لم يسمع لداع بها صوت قبل القرن الأخير، وقد نشأت أول ما نشأت باقتراح بعض المستشرقين من رجال الاستعمار".²⁹

كثيراً من معطيات اللسانيات لم تكن بعيدة عن تصور أذهان لغويننا فليست عقول القوم بأذكي وأقوم من عقول سلفنا . فلقد أثبت ذلك كثير من المنصفين.³⁰ ويحاول الباحث الوعر أن يتلمس النواحي الدراسية في التراث اللغوي العربي التي تتجاوب أو تتشابه مع

الدرس اللساني الحديث ، ويسردها في أصوات وتراكيب ودلالات اللغة العربية وارتباط اللغة بالمجتمع وبفيزيولوجية الإنسان وبيولوجيته ونشأة اللغة واللغات . كما حاول تمام حسان في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها أن يُعيد كثيراً من المصطلحات اللسانية الكلاسيكية التي تشتت في كتابات القدماء في ضوء المنهج الوصفي ومقولات النظرية السياقية تحديداً في مجال الدلالة ومقولات الفنولوجيا البراغيمية في مجال الصوتيات.

كما نجد في كتابه مناهج البحث في اللغة قد تعرض فيه لدراسة البنية اللسانية

وفق منهج التحليل البنيوي الغربي المطبق من طرفه على اللغة العربية الفصحى من خلال عمده إلى التمثيل لكل مستوى من اللغة العربية وتبسيط المصطلحات والأدوات الخاصة بالمنهج البنيوي في عملية الوصف كالقيم الخلافية والفونيم والوظيفة والتوزيع والعلاقة، وفي مستوى الدرس النحوي يبنى التحليل العلمي على تصنيف العناصر المكونة لها شكلياً ووظيفياً وهو تصنيف براغماتي مبني على الاستقرار بالحس، ويهتدي بفضل هذه الرؤية الشكلية الوظيفية إلى تقسيم الكلمة في العربية إلى اسم وفعل، وأداة وضمير وخالفة.

كذلك إبراهيم أنيس حاول تقويم آراء القدماء في قطاعات اللغة من وجهة نظر اللسانيات في بلاد الغرب ويمكن استكشاف ذلك من خلال الاطلاع على كتابيه الأصوات اللغوية ودلالة الألفاظ وفي اللهجات العربية، من الجهود التي بذلها هذا الباحث اعتباره الدراسة التي قام بها أسلفنا في المستوى الصوتي للغة العربية متممة إلى علم الفنولوجيا بالرغم من اهماله الواضح لنظرية الفونيم التي تتأسس عليها النظرية الفنولوجية الحديثة.

المزاوجة بين التراث والحداثة بوعي: يقول عبد الملك مرتاض: "...ومثل هذا النصّ النقديّ العجيب هو الذي كان يحملنا، دوماً، على الانطلاق من التراث نحو الحداثة، أو من الحداثة ولكن بالاستناد إلى التراث؛ وذلك على أساس أنّ التراث النقديّ العربيّ، غنيّ بالنظريّات والآراء النقديّة... والذين يكابرون فيتحاملون على هذا التراث لا يعدّون أن يكونوا واحداً من اثنين: إمّا لأنّهم يجهلون هذا التراث، وإمّا لأنّهم، لبعض ما في قلوبهم من مرّض، يمتقّونه فيقعون في المكابرة. ولا حجة لهم في الحالين، ولا سداد لرأيهم في الطورين".^{3 1}

يصرح كمال بشر بصعوبة التوفيق بين منهج العرب واللسانيات الحديثة ذلك لعدم تكافؤ الطرفين ثقافياً وعلمياً، ويرى في التفتيق بين المنحيين خليطاً من التفكير ومزيجاً من طرائق البحث أوقعتهم في أخطاء منهجية لا يقرها البحث الحديث، ومن جهة ثانية يبين كمال بشر الهدف العملي للدراسة اللسانية العربية

المرتبطة بالنص القرآني في المرحلة الأولى وبتعليم القواعد النحوية في المرحلة الثانية، ولذلك نراه يتبدد الوهم القائل بإمكانية تطبيق المناهج الحديثة في اللسانيات تطبيقاً صارماً لاختلاف الأصول والأدوات بل اختلاف السياق الحضاري كله، والأنفعة بالنسبة إلى الباحثين الكشف عن جوانب النظرية اللسانية العربية لا الادعاء بعدم ارتكاز البحث اللساني على منهج ثابت وواضح.

يقول عبد العزيز حمودة: إنني أدعو جميع نقادنا الأعزاء أن ينظروا إلى التراث بعين الحداثة وأن يعدوا قراءة الحداثة بعين التراث ولكن ليست القراءة الطائشة القراءة التي تظهر تحمسا وهميا للتراث محاولة في إلحاقه بحداثة اليوم وعلى العكس نرفض تقوُّعاً في بؤرة التراث وإغلاق الباب بوجه التيارات القادمة من الآخر إنني أتذكر دوماً قول غادمير أن القراءة المعاصرة يجب أن تكون في الإطار التاريخي للمقروء وليس ببعيدة عنه، يقول وهو في مجال دراسته الأفاق بأنها تتواجد.. عند الإشارة إلى مطالبة الوعي التاريخي برؤية الماضي في ضوءه هو، وليس في ضوء معاييرنا وأهوائنا المعاصرة، بل في داخل افقه التاريخي".^{3 2}

أصالة الفكر اللغوي: هل أصالة الفكر اللغوي العربي مرتبطة بمدى ملاءمته لما تقدمه النظريات الغربية الحديثة كما حاول كثير من المعاصرين إثبات ذلك؟ إذا أردنا أن نؤسس فكراً عربياً معاصراً في مجال البحث اللغوي، فإننا ملزمون ضرورة القيام بعملية جرد للفكر اللغوي لتراثنا العربي، وتمحيصه وتحديد مجالاته وفرز عطاءاته الإيجابية وسقطاته على مستوى الأسس المعرفية في الموضوع والمنهج، وهذا لا يتم إلا بعودة تقويمية حضارية إلى الفكر العربي بشكل عام، والفكر اللغوي بشكل خاص، وتتم هذه العودة عبر تتبع المسار التطوري للدرس اللغوي عند العرب القدمين والبحث عن الأسس المعرفية والفلسفية التي انبنى عليها التراث الفكري العربي، وذلك بربطه بالعلوم الإنسانية المختلفة، فنحفظ أصالة تراثنا المعرفي ونقف على المنهج الفكري الذي كان يشرف على تأطير الأبحاث والدراسات في هذا التراث، وبذلك يتحقق مشروع النظرية اللسانية العربية

المعاصرة، ويظهر منهجها في مجال العطاء الفكري الإنساني، وبالتالي تكون شرعية
النشأة على المستوى المعرفي. ^{3 3}

هذا المشروع اللساني العربي لا يستقيم له أمرٌ إلا إذا أخذنا بما حققته النظريات
اللسانية الغربية، واستوعبنا مادتها استيعاباً واعياً، وحاولنا تكييف هذه النظريات
مع خصوصيات اللسان العربي في المجالات المختلفة، وأجرينا إسقاطات منهجية
على التراث اللغوي العربي بعد تقويمه وتمحيصه من أجل بعثه بعثاً جديداً وإعادة
صياغته صياغةً تدفعه لمواكبة التطور الحضاري للمجتمع البشري، مع ضرورة
الأخذ بالمناخ الفكري الذي ساد نشأة وترعرع الفكر اللغوي العربي، لأنَّ فهم
المنهج العربي في أيِّ علمٍ من العلوم العربية التراثية ينبغي أن يلتمس من داخل
الحياة العقلية العربية ومن خلال المناخ العقلي العام الذي نشأ وتطور وتأصل في
ظل القرآن، فمن المعلوم أنَّ المفكرين المسلمين بدؤوا بما هو عملي قبل أن يصلوا
إلى وضع منهج نظري لكلِّ فرعٍ من فروع البحث، وكانت - مثلاً - قراءة القرآن عن
طريق التلقي والعرض أسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات ... ^{3 4} ونحن
بدورنا نؤكد حقيقة احترام الفكر في تعاملنا مع التراث. ولا يعني الفكر أو إمعان
النظر فيه أننا نقل من قيمته، أو أننا نعيد النظر في ثوابته، أو إعجابنا به؛ ولكن هذا
الإعجاب لا ينبغي أن يقودنا إلى التقديس فما أسرع ما يتحول الأمر عند الإنسان
من إعجابٍ بالقديم إلى تقديس له، يوهمه بأنَّ ذلك القديم معصومٌ من
الخطأ... وهذا الذي لا نريده في قراءة التراث.

قراءة التراث اللغوي القديم عند المعاصرين: هل مارست العقل الإسقاطي
والحماسة المفرطة، بإرجاعهم كثيراً من المصطلحات الحداثية إلى أصول
تراثية، فجعلوا من سيبويه وابن جني لسانيَّ العصر، ومن عبد القاهر الجرجاني
بنويّه، وفي ذلك لعمري إجحاف وموطن الداء، ذلك إنَّ حبنا للتراث لا يبلغ حدَّ
وأده تحت شعار تحديثه، وإنَّما يتحقق بإعادة قراءته في إطار مشروطيته
التاريخية، وإعمال العقل التّقدي الواعي بشروط الاستنبات وسياقات التلقي. هل

تحولت مشكلة قراءة التراث اللغوي عند كثير من الدراسيين المعاصرين إلى فليولوجين وهل تحولت قراءة التراث إلى مجرد عملية اختلاط القديم بالحديث عبر ألفاظ لا يربط بينها إلا إرادة الشارح؟.

أولاً إننا نعتبر الكثير من القضايا التي استأثرت بنقاش مسهب في الأوساط اللسانية، من قبيل أن المفاهيم والنماذج المعاصرة ذات جذور تراثية في النحو العربي أو البلاغة أو فقه اللغة، أو أن اللسانيات أداة واصفة استحدثت لوصف اللغات الغربية، وأن اللغة العربية لا توصف إلا بآلة النحو العربي، وقضايا أخرى أقرب مماثلة، لم تعد تطرح بنفس الحدة كما كان عليه الأمر خلال الستينيات والسبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن المنصرم، وربما يكون هذا من إيجابيات تطور اللسانيات في الثقافة العربية. فقد تزايد الوعي بضرورة تناول علاقة اللسانيات بالتراث تناولاً إستمولوجياً قادراً على فرز مستويات الفصل والوصل بين المفاهيم وآليات الاستدلال والظواهر الموصوفة في كلٍّ من التراث اللغوي العربي القديم واللسانيات الحديثة، فهذا الوعي بالأسس الميتودولوجية والفلسفية والمعرفية والصورية للخطابات يمثل المدخل المناسب للوقوف على حدود العلاقة بين القديم والجديد. حتى لا تتحول قراءة التراث إلى مجرد عملية اختلاط القديم بالحديث عبر ألفاظ لا يربط بينها إلا إرادة الشارح وتوجيهه لذلك نرى من يرفض ربط عاملية شومسكي بعاملية سيويه على الرغم من تماثلهما الملحوظ حتى في اللغة الاصطلاحية فأصبح لهذا الثقاف اتجاه واحد؛ لأنَّ أيَّ لغوي رافض للتراث خاصة للنحو العربي الماضي لا يراه حاضراً في النحو الغربي المعاصر. وقد لا يتأخر في التصدي لكلٍّ من يقيم علاقة بين "مبدأ تجنب الضمير" في نحو شومسكي وبين قول نحاة العربية متى قدروا على المتصل لم يأتوا مكانه بالمنفصل^{5 3} مبدأ تجنب الضمير (Eviter - les - pronoms).

لماذا لم بأبه دارسو التراث بالمسارات والملابسات والأبعاد المرتبطة بالإطار الحضاري للأمة؟ فيما أعتقد لا تكون حضارة مزدهرة متألفة في أمة من الأمم ما لم

تواكبها جنباً إلى جنب حضارة المصطلح العلمي الذي يُكوّن مجد ذاته الإطار العام لفكر تلك الأمة وعقلانيته، وتقدمها الإنساني كي تتبلور لها عندئذ سمات الثقافة الحقّة في مضامير حياتها المتشعبة، لتصل في النهاية إلى تحقيق غاياتها المثلى في النظر والعمل معاً لبناء صرحها الحضاري الشامخ...، فكلما أحسنت الأمة الدقة والرؤية والعمق في تعريفاتها وتحديداتها ورسومها، بدت أكثر تألقاً ونضارة على غيرها من الأمم المعاصرة لها".³⁶

يقول الدكتور عمارة في معرض بيانه للخصوصية الحضارية للمصطلحات: إذا نظرنا إلى أيّ مصطلح من

المصطلحات باعتباره "وعاء" يوضع فيه "مضمون" من المضامين وبحسبانه أداة تحمل رسالة المعنى فس نجد صلاح وصلاحيّة الكثير من المصطلحات لأداء دور الأوعية والأدوات على امتداد الحضارات المختلفة. إما إذا نظرنا إلى المصطلحات من زاوية المضامين التي توضع في أوعيتها ومن حيث الرسائل الفكرية التي حملتها الأدوات: المصطلحات فس نكون بحاجة ماسة وشديدة إلى ضبط المصطلح؛ لأننا سوف نجد أنفسنا أمام أوعية عامة وأدوات مشتركة بين الحضارات والأنساق الفكرية، وفي ذات الوقت أمام مضامين خاصة ورسائل متميزة تختلف فيها وتتميز بها هذه الأوعية العامة والأدوات المشتركة لدى أهل كل حضارة من الحضارات المتميزة. 37

إنّ الإمكانات المتاحة اليوم لا يحق لنا أبداً أن نُسلطها بوتقة إلى التراث دون وعي وتمحيص ودقّة لسبب بسيط وهو للتراث العربي عمقاً تاريخياً وللحادثة الغربية المعاصرة عمقاً تاريخياً أيضاً وإذا ما علمنا إنّ مناهج الغرب اليوم وليد فلسفات واتجاهات وتيارات فكرية مختلفة عن فلسفات وأفكار أمس يحق لنا أن نضع الدقة في تسليطها على مناهج خرجت خدمة لعقلية مختلفة عن العقلية الأوربية بعيداً عن الموازنة وإعطاء السبق بين الأمتين وهو موضوع آخر ليس هذا مجال البحث فيه في هذه الدراسة على الأقل.

يقول منذر عياشي: "لقد وجد البحث اللغوي العربي نفسه تبعاً لعددٍ من الممارسات الاستشرافية، التي أرادت فرض سيطرتها عليه، والانحراف به عن النهج العلمي، بغية التشكيك في الجدوى التاريخية للإنتاج المعرفي في الحضارة العربية الإسلامية. كما وجد نفسه أيضاً تبعاً لعددٍ كبيرٍ من النظريات والمناهج والمدارس الغربية. وذلك لأنّ! ه لا يملك نظرية خاصة به مستوحاة من الحضارة التي يريد أن ينطق باسمها".³⁸

وهذه واحدة من المشكلات التي أرقت البحث اللغوي في ثقافتنا وحالت دون أخذه لموقعه الصحيح .

ولعلّ من الأخطاء التي وقعت فيه هذه الدراسات عزلها التاريخ في قراءة التراث، بسبب إيمانهم بضرورة تحقيق قطيعة معرفية مع الماضي كشرط لتحقيق الحداثة، لذلك وجدنا من اللسانيين من يرفض الرجوع إلى تاريخنا الماضي، فالمعرفة اللسانية معرفة حديثة، شأنها في ذلك شأن كلّ العلوم الإنسانية، ولذلك يجب أن نجردها من أيّ تاريخية ممكنة، لأنّ ذلك ممّا يسيء إلى الفهم، ويبعدنا عن الانخراط في منجزات العصر، فالطريق الأمثل لتفادي الاستلاب التراثي، هو الخضوع للوعي التاريخي الذي سيفتح أعيننا على الواقع لأول مرة، ويمكننا أن ننظر إلى اللغة والتراث وتاريخنا الخاص مواد منفصلة عنا لا نستطيع أن نتصل بها إلاّ عن طريق التحليل والتركيب العقلي. كلّ ذلك أدى إلى احتقار التراث من ناحية، ثم الوصول بالتبعية الثقافية للغرب إلى أبعد نقطة فيه من ناحية أخرى. والنتيجة أن أصبح العقل العربي منفعلاً وليس فاعلاً.

يقول عبد العزيز حمودة: "أتذكر دوماً قول غادير أن القراءة المعاصرة يجب أن تكون في الإطار التاريخي للمقروء وليس ببعيدة عنه؛ يقول وهو في مجال دراسته الأفاق بأنها تتواجد". عند الإشارة إلى مطالبة الوعي التاريخي برؤية الماضي في ضوئه هو، وليس في ضوء معاييرنا وأهوائنا المعاصرة، بل في داخل أفقه التاريخي".³⁹

هناك من الباحثين الذين ما زالوا يعتبرون أن ما أنتج في بداية عصر النهضة تراثاً. فلا يميزون بين الجرجاني والقرطاجني وإبراهيم أنيس، وشوقي ضيف. إذ هل يمكننا أن نلغي الحدود الزمنية ونتنقل كيفما شئنا، داخل فترات زمنية متباينة من دون وعي بالخصائص المعرفية والتاريخية لكل فترة.

إن إلغاء الحدود التاريخية يؤدي إلى تجاهل تاريخية المعرفة العربية. وهو ما يدفع إلى التأكيد على ضرورة التمييز بين التراث البعيد والتراث القريب، وبين النهضة والتراث. ولا يجوز لنا أن نضع عصر التدوين في نفس المستوى التاريخي مع عصر النهضة. خصوصاً، وأن هذا العصر يمثل، بالنسبة للعرب، المرحلة التاريخية التي أفرزت الخطاب الذي أصبح، من خلاله، الحديث عن ما يسمّى التراث.

هل اهتمام الباحثين واشتغالهم باللسانيات المعاصرة اليوم هو انسلاخ من تراثنا الأصيل، وإتباع لأهل الحداثة من غربيين ومعاصرين؟ يقول الدكتور عبد الملك مرتاض: "... إذ كانت الحداثة لدينا لا تنهض على إلغاء التراث بجذاميره، ولا الزُّهد فيه بجذافيره؛ ولكنها تلقيحُ التراث بالحداثة، وتوظيفُ الحداثة للتراث؛ والنظر إلى التراث برؤية متحررة متطورة، وبأدوات إجرائية جديدة تكون لها القدرة على فكّ اللغز، وتعربة المغشّى، ونَبْشُ المعطى..." 40

وتجدر الإشارة إلى أن النظريات العربية في أيّ حقلٍ من حقول العلم والمعرفة، لها مرجعيتها التاريخية والفكرية، وتخضع لتصورات اجتماعية معينة لا يمكن إسقاطها من أيّ مقارنة علمية، وهو ما حدا ببعض علماء العرب المحدثين إلى الدعوة لضرورة تجديد التراث من داخله دون إغفال "المفاتيح العلمية الحديثة، ولا بد معها من احتياطات منهجية على النتائج التي نصل إليها. ومع ذلك لا يشيننا شيء عن إجراء إسقاطات منهجية ونظرية واعية على المنظومة المعرفية التراثية، وكون النظريات الغربية استمدت معالم قواعدها وتطبيقاتها من لغات أجنبية غير اللغة العربية، لا يُعدُّ مانعاً من الاستفادة من أفكارها في تعاملنا مع التراث العربي، ذلك أن اللغة العربية بصفاتها "لغة" تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشارك معها في

عددٍ من الخصائص (الصوتية والتركيبية والدلالية) وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات".^{4 1}

هل التراث مملوكاً خاضعاً للمحاكمة: على حين يرى أسلافنا أنَّ التراث هو مالكمهم والقاضي في حياتهم لا

المتهم! ولهذا كانت اللسانيات معنية بشكل مباشر بهذا الصراع وبهذه المقاومة، فكان من الطبيعي أن تقاوم مقاومة أشرس. فقد اعتبرت شكلاً من أشكال الإمبريالية العالمية لأنها تسعى جاهدةً إلى تشجيع كلِّ صوتٍ يضرب على وتر الانسلاخ عن اللغة العربية الواحدة، والثقافة العربية الأصلية بشتى الأشكال الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والعلمية (اللسانية) 4 2.

وقد عاب الفيلسوف طه عبد الرحمان على هؤلاء بقوله: "وقد بلغ الناس من كثرة السير في نَفَق التقليد حداً جعلهم يستطيعون لذة التقليد، ويرونه هو عين التجديد. ووجد أهل التقليد يتنكرون لهويتهم ويتحدثون عن الكونية؛ يقول في هذا الصدد: أما ترى أنَّ المتفلسف العربي لا يصوغ من الألفاظ إلا ما صاغه غيره، ولا يستعمل من الجمل إلا ما استعمله، ولا يضع من النصوص إلا ما وضعه (....) يؤولون إذا أول غيرهم، ويحفرون إذا حفر غيرهم ويفككون إذا فكك غيرهم" 4 3.

وأخيراً: لم يكن هدفنا من هذه الدراسة هو الانتصار لفريقٍ دون الآخر أو للحكم على الآراء وتصويب أناس وتخطيء آخرين، بل كان هدفنا هو مقارنة قراءة المعاصرين للمصطلح اللساني في الفكر اللغوي القديم الذي تجاذبه اتجاهين الغلو والإهمال والأصالة والمعاصرة للوصول لقراءة واعية نستفيد من هذه القراءة لعلها تبصرنا أكثر وتزيد وعينا أكثر، لنخلص إلى نتيجة ما كنا لنصل إليها لو لم نقرأ هذه المقاربات.

إنني أدعو الباحثين لترشيد هذه الجهود التي غرفت من المصطلحات الأجنبية وحاولت إسقاطها زوراً أو بهتاناً أو اجتهاداً أو ادعاءً أو استسهالاً، كلُّ ذلك أوجد

إشكاليات المصطلح اللساني، حتى أضحي موروثنا اللغوي يكاد يخلو من مواضعٍ عربيةٍ خالصةٍ لمصطلحات متفق عليها يقرؤها المشارقة والمغاربة على حدٍ سواءٍ، ويقرؤها الباحثون بعيداً عن إغراق القارئ العربي في لُجّة المصطلحات الغربية المتباينة حيناً والمتشاكلة أحياناً أخرى. والسبيل للوصول إلى ذلك هو مراجعة الأسئلة التي شغلت بال علماء السلف التي تختلف جذريا عن أسئلة اللسانيات المعاصرة، حتى لا يغدو الحديث عن لسانيات عربية معاصرة وهمٌ من الأوهام، فقد ظلّ رهان كلّ اللسانيين العرب هو إثباتُ مشروعية اللسانيات العربية، وكانت قراءتهم للتراث لا تعدو إلّا خدمة لهذا المشروع.

إنّنا لا نريد أن يكونَ المصطلح عائقاً يحولُ دون وصول اللسانيات إلى متلقي الثقافة العربية، وهذا ما نصبو إليه لأنّ مُهمّة الباحث اليوم في التراث اللغوي العربي ليس البحث عن التقاطعات بين الحديث والقديم؟.

النتائج المتوصل إليها:

- تحولت قراءتهم للتراث رهين محابس النظريات الغربية المعاصرة حيث جعلوا من الفكر اللغوي مرة هو توليدي وأخرى هو تداولي ومرة أخرى بنوي وأخرى وظيفي!! ممّا وقع الفكر اللغوي العربي، في أزمة هوية.
- أظنُّ أنّ غلبة النزوع الحدائي في قراءة التراث أمرٌ طبيعيٌّ يعبر عن إحساس بضرورة النظر إلى التراث نظرة جديدة، لكن كثيراً من الدارسين أخطئوا الطريق فوقعوا في آفة الإسقاط المؤدية حتماً إلى تجزيء التراث وتقسيمه إلى نافع وغير نافع، أو إلى النزعة الاستقصائية .
- إنّ الجُهودَ النظرية المبذولة من طرف الباحثين والتي تخاصم وتنصب العداء للأمة من غير مبررات ومسوغات مشروعة، وتمارس الإقصاء لا شك أنّها في الأخير تجري وراء السراب وتجنّي الوهم.
- ولا يفهم من هذا أنّنا ندعو إلى الانحباس والانغلاق على الذات ورفض الآخر، لكن على الأقل هذه المنجزات النظرية والمعرفية بحاجةٍ إلى إعادة النظر في

دراستها، بل هي أوبةٌ واعيةٌ للذات والموضوع، تُراعي رسالتها وُثْراعي المستجدات، تملك التراث ولا يملكها، وتمسك بالحاضر ولا يمسكها، وتستشرف المستقبل دون أن يستقرَّ فيها فيقطعها عن ماضيها وحاضرها أو يغرقها في بحاره، ويسجنها في إساره.

- إنَّ التراث اللغوي يُعد تحولاً كبيراً في مسيرة العلمية للأمة.
- التراث يشكل هويتنا الفكرية والروحية، ولذلك فإنَّ العناية به، عناية بهذه الهوية، وتجديده هو إمداد لهذه الهوية بوسائل القوة والاستمرار في العصر الحديث.
- إنَّ اللسانيين العرب المعاصرين لهم مساهمات في تطوير البحث اللساني كعبد الرحمان الحاج صالح في المدرسة الخليلية و الفاسي الفهري في التوليدية التحويلية وأحمد المتوكل في النظرية الوظيفية ولهذا فاحتمال إدماج البحث اللساني العربي في البحث اللساني الغربي احتمال وارد.
- التراث جزء منا لا يمكننا الانفصال عنه، ولكن يمكننا البناء عليه، وتجديده بعد فهمه.

التوصيات: إنَّ هذه الدراسة توصي بما يلي:

- نريد تحويل علاقتنا باللسانيات من مركز الخصيم إلى موقع النصير.
- دعوة إلى إعادة قراءة التراث العربي قراءة متأنية و مستبطنة، حتى لا يؤدي إلى الانفصام بين الدرس اللغوي العربي القديم واللسانيات.
- لا ندعو لنسف النظريات الغربية والمصطلحات اللسانية التي جاءت بها المناهج الغربية المتبعة في الجامعات العربية، ولكن ندعو لترشيدها لتناسب مع خصوصيتنا.
- الدعوة لإنشاء نظرية تكاملية للتراث يتم من خلالها تقديم منهج جديد في تقويم التراث، وهو منهج يُعتبر - في عمقه - مواجهة لأصحاب المشاريع الداعية والساعية إلى إعادة قراءة التراث العربي في ضوء المناهج الغربية الحديثة.

- ندعو للتقليل من طغيان القراءات ذات النزوع الحداثي الاستقصالي في التعامل مع النصوص التراثية، مقارنةً مع القراءات ذات النزوع التوفيقى في التعامل مع تراثنا العربى.

- كما أدعو الباحثين للإجابة عن هذين السؤالين لماذا نعود إلى قراءة التراث؟ وما الغاية والهدف من ذلك؟ وطالما أننا ما لم نجب على هذين السؤالين بكيفية مغيرةٍ لما مارسناه إلى الآن سيظل السؤال مطروحاً أبداً.

- الابتعاد عن توظيف التراث بطريقة انتقائية، بحيث يتم استدعاء التراث عندما يكون في خدمة الفكرة، بينما يتم استبعاده عندما يناقض الفكرة المراد نصرتها.
المصادر والمراجع:

- إعجاز القرآن للباقلاني: أبو بكر الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، ط. الخامسة، 1997م دار المعارف - مصر.

- الألسنية المعاصرة والعربية: رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة الذخائر، العدد الأول، السنة الأولى، شتاء 1420 / 2000.

- البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل، ط 1420 هـ، دار الفكر - بيروت.

- تجديد المنهج في تقويم التراث: طه عبد الرحمن، ط 1 بيروت، المركز الثقافى العربى، 1994.

- التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزى الكلبي ، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط. الأولى - 1416 هـ، دار الأرقم بن أبى الأرقم - بيروت.
- التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم: حنفى حسين ط. 1، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 2002 .

- التراث والحداثة: د. محمد عابد الجابري، ط 1 / يوليو 1991، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت .

- التراث والتجاوز: على أومليل، طبع المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، القاهرة.

- التراث النحوي العربي الإسلامي : نحوي عربي من القرن الثامن الميلادي ،مساهمة في تاريخ اللسانيات ميخائيل ج. كارتر ، تعريب محمد رشاد الحمزاوي
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، 1981 ، الدار العربية للكتاب، تونس..
- الحق العربي في الاختلاف الفلسفي:الدكتور طه عبد الرحمان،المركز الثقافي العربي، المغرب، ط. 1، 2002.
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: أحمد بن رجب الحنبلي ،تحقيق: الدكتور محمد الأحمد أبو النور، ط. الثانية، 1424 هـ - 2004 م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار عالم الكتب، بيروت.
- عبقرى من البصرة: مهدي المخزومي، دار الرائد العربي بيروت ، ط. 21406-1986.
- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقور عبد الجليل - دراسة - من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق - 2001.
- علم اللغة بين القديم والحديث: عبد الغفار حامد هلال، ط، 1409 / 1989.
- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسن بحيرى مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2004م
- اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات: عبد الرحمن الحاج صالح ،محاضرة أقيمت في الندوة الدولية حول مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر أيام 6 - 8 نوفمبر 2000 ..
- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة: د.سفر الجوالي، دار منابر الفكر.
- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، ط. التاسعة 1413 هـ 1993 م مؤسسة الرسالة.

- السبع المعلقات :مقاربة سيمائية - أنترولوجية لتصوصها:دراسة/ عبد الملك مرتاض - دمشق:اتحاد الكتاب العرب، 1999.
- شرح صحيح البخارى لابن بطلال، تحقيق:أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط. الثانية، 1423هـ - 2003م، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض.
- فقه الفلسفة القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل:د. طه عبد الرحمن، ط 1 بيروت، المركز الثقافي العربي، 1999.
- الفارابي في حدوده ورسومه: د/ جعفر آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط 1، سنة 1985، .
- في الميزان الجديد :د. محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة - القاهرة.
- الفراهيدي عبقرى من البصرة:مهدي المخزومي، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط.2 بغداد 1989.
- فيض التقدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، ط. الأولى 1415 هـ - 1994 م، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- قضايا لسانية وحضارية:منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط. 11، 1991.
- قضية البنية:عبد السلام المسدي، دار الجنوب للنشر تونس 1995.
- اللسانيات واللغة العربية:عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط.3، 1993.
- مدخل في اللسانيات: صالح الكشو، الدار العربية للكتاب ، تونس - ليبيا ، 1985.
- الموافقات في أصول الفقه: إبراهيم بن موسى اللخمي، تحقيق :عبد الله دراز، دار المعرفة - بيروت - .

- مقالات في الأدب واللغة : محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط. 1 ، 1407/1986.

- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة والتوزيع..
- المرايا المحدبة (من البنيوية الى التفكيك) عبد العزيز حمودة سلسلة عالم المعرفة..
- معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام: د. محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة والتوزيع.

- مناهج البحث عند مفكري الاسلام و اكتشاف المنهج العلمي قي العالم الاسلامي: د علي سامي النشار، دار النهضة
1404هـ / 1984م.

- نظرية التراث: الدكتور فهمي جدعان، دار الشروق عمان .
- النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي [قراءة نقدية في مرجعيات الخطاب اللساني وأبعاده المعرفية]: د. نعمان بوقرة- من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق - 2004 .

- الوظائف التداولية في اللغة العربية: أحمد المتوكل، دار الثقافة المغرب 1985.

الهوامش:

¹الحق العربي في الاختلاف الفلسفي: الدكتور طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط. 1 ، 2002، ص: 79.

مدخل في اللسانيات: صالح الكشو ، ، الدار العربية للكتاب ، تونس - ليبيا ، 1985 ، ص: 052

3اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات: عبد الرحمن الحاج صالح ، محاضرة أقيمت في الندوة الدولية حول "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر أيام 6-8 نوفمبر. 2000 ، ص: 25.

⁴السبع المعلقة: مقارنة سيميائية- أنثربولوجية لتصوصها: دراسة/ عبد الملك مرتاض - دمشق:

اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص: 0149

- ⁵ نظرية التراث: الدكتور فهمي جدعان، دار الشروق عمان، ص: 26 .
- ⁶ المرجع نفسه، ص: 28 وما بعدها .
- ⁷ علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: منقور عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق - 2001 ، ص: 9.
- ⁸ التراث والحداثة: د. محمد عابد الجابري، ط 1/ يوليو 1991، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت، ص: 15-16.
- ⁹ الوظائف التداولية في اللغة العربية: أحمد المتوكل، دار الثقافة المغرب 1985 ص: 10.
- ¹⁰ التراث والتجاوز: علي أومليل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، القاهرة، ص: 15.
- 1 علم اللغة بين القديم والحديث: عبد الغفار حامد هلال، ط. 3 ، 1409/ 1989، ص: 70.
- ¹² أثر فرديناند دي سوسير في البحث اللغوي العربي: حسين السوداني، ص: 30.
- ¹³ الفكر العربي والألسنية: عبد السلام المسدي، ، ص: 12.
- ¹⁴ تجديد المنهج في تقويم التراث، - ط 1 بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994 ص: 10.
- ¹⁵ التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم: حنفي، حسين ط. 1، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 2002، ص: 192 .
- ¹⁶ علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص: 2.
- ¹⁷ علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: سعيد حسن مجرى مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 2004م، ص: 29 .
- ¹⁸ النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي [قراءة نقدية في مرجعيات الخطاب اللساني وأبعاده المعرفية] د. نعمان بوقرة - من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق - 2004 ، ص: 148-149.
- ¹⁹ عبقرى من البصرة: مهدي المخزومي، دار الرائد العربي بيروت ، ط. 1406-1986، ص:
- ²⁰ هناك من يرى أن أول من نقل هذا المصطلح إلى الثقافة العربية، فهو محمد مندور في كتابه "النقد المنهجي مُستعملاً مصطلح "علم اللسان"
- ²¹ هذا المصطلح كان مستعملاً في كتب التراث بكثرة منها: إعجاز القرآن للباقلائي: أبو بكر الباقلائي، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط. الخامسة، 1997م دار المعارف - مصر، ص: 243: أنك إن كنت بصنعة علم اللسان متدرّباً. فيض التقدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير

للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي ضبطه وصححه أحمد عبد السلام، ط. الأولى 1415 هـ - 1994 م، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 8/ 75 ذلك علم القلب، لا علم اللسان. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد الأحدي أبو النور، ط. الثانية، 1424 هـ - 2004 م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع 3/ 1019 ويقي علم اللسان حجةً، شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط. الثانية، 1423 هـ - 2003 م، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، 6/ 41 لأن الصحابة القدوة في علم اللسان. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل، ط 1420 هـ، دار الفكر - بيروت 1/ 17 كَانَ مُتَبَحِّراً فِي عِلْمِ اللِّسَانِ. 1/ 232 سَائِغٌ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ. 1/ 541 وَهُوَ الْإِمَامُ الَّذِي انْتَهَى إِلَيْهِ عِلْمُ اللِّسَانِ فِي زَمَانِهِ. التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي الكلبي تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط. الأولى - 1416 هـ، دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، 1/ 24 واتفق أهل علم اللسان. ومن ذلك ما قاله اللخمي في الموافقات: والأقرب في العلوم إلى أن يكون هكذا علم اللغة العربية ولا أعني بذلك النحو وحده ولا التصريف وحده ولا اللغة ولا علم المعاني ولا غير ذلك من أنواع العلوم المتعلقة باللسان بل المراد جملة علم اللسان ألفاظ أو معاني.... الموافقات في أصول الفقه: إبراهيم بن موسى اللخمي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة - بيروت 4/ 114. وقد ذكر الإمام الذهبي هذا المصطلح أكثر من مرة سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، ط. التاسعة 1413 هـ 1993 م مؤسسة الرسالة 13/ 298 وكان رأساً في علم اللسان العربي، 14/ 484 انتهى إليه علم اللسان.. ليس المقصود تتبع هذا المصطلح في كتب التراث لكن المقصود أنه موجود بكثرة في كتب التراث.

²² في الميزان الجديد د. محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة - القاهرة.

²³ قضية البنية: عبد السلام المسدي، دار الجنوب للنشر تونس 1995، ص: 12.

²⁴ الإسلام والعلمانية سفر الحوالي ص 66/ 67.

²⁵ المصدر السابق ص: 16.

²⁶ الألسنية المعاصرة والعربية: رشيد عبد الرحمن العبيدي، مجلة الذخائر، العدد الأول، السنة

الأولى، شتاء 1420/ 2000، ص: 31.

²⁷ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

²⁸ حوارات من أجل المستقبل، ص: 138

²⁹ مقالات في الأدب واللغة: محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. 1، 1407 / 1986، ص: 48.

³⁰ انظر على سبيل المثال التراث النحوي العربي الإسلامي : نحوي عربي من القرن الثامن الميلادي ، مساهمة في تاريخ اللسانيات ميخائيل ج. كارتر ، تعريب محمد رشاد الحمزاوي ص 179 من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً .

³¹ السبع المعلقات [مقاربة سيميائية/ أنثروبولوجية ص: 186 0

³² المرايا المحدبة (من البنيوية الى التفكيك) عبد العزيز حمودة، ص: 324.

³³ علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، ص: 3

³⁴ مناهج البحث عند مفكري الإسلام: د. علي سامي النشار- ، ص 31.

³⁵ الخصائص: ابن جني، 2/ 192. وقد تكررت هذه العبارة في كتب النحو بألفاظ متقاربة عشرات المرات.

³⁶ الفارابي في حدوده ورسومه، د/ جعفر آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط 1، سنة 1985، ص: 14.

³⁷ معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، د. محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة والتوزيع، 199 ص: 4.

³⁸ قضايا لسانية وحضارية: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط. 11، 1991، ص: 15.

³⁹ المرايا المحدبة (من البنيوية الى التفكيك) عبد العزيز حمودة، ص: 324.

⁴⁰ السبع المعلقات [مقاربة سيميائية/ أنثروبولوجية ص: 149 0

⁴¹ اللسانيات واللغة العربية: عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط. 3، 1993، ص: 56.

2 4 قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث: مازن الوعر ، ص: 379.

⁴³ فقه الفلسفة - القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، - ط 1 بيروت، المركز الثقافي العربي، 1999 ص: 11 - 12.
